نظرية النظم عند أبي هلال العسكري

Theory of Verse In the Opinion of Abu Hilal Al Askari

د. محمد علوي أحمد بن يحيى

أستاذ علم اللغة والنحو العربي المساعد

بكلية الآداب /جامعة (عدن)

2003
١٤٢٤
جامعة الأندلس
العلوم والتقنية
Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

ISSN : 2410-1818

نظرية النظم عند أبي هلال العسكري

الملخص:

يُخَصَّص هذا البحث لدراسة جهود أحد أبرز اللغويين، المؤسِّسين لنظرية (النظم) في اللغة، التي اكتملت معالمها على يد عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) في كتابه (دلائل الإعجاز)، وهو (الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري)، المُكنَّى (أبو هلال)، والمتوفَّى في أواخر القرن الرابع الهجري. وقد ضمَّن جهوده تلك في كتابيه: (الفروق اللغوية)، و(كتاب الصناعتين: الكتابة، والشعر).

ومن أبرز دواعي البحث، في جهوده اللغوية، الخاصة بنظرية (النظم):

١) إزالة الوهم عن تغليبه اللفظ على المعنى، في النص الأدبي.

٢) إبراز فضلِه على (عبد القاهر)، والألسنيين، في أسبقية إيلائه عناية فائقة، بالبنيتين: السطحية، والعميقة.

٣) سَبقُه في التفطُّن لأثر استقامة عناصر المستوى التركيبي (النحوي)، من حيث وضعها في رُتَب مناسبة، في الجملة، وتعلُّق معنى كل عنصر بما يجاوره - في وضوح معناها، وما يترتَّب على ذلك من إكساب النص الأدبي رونقاً وجمالاً.

Abstract

This research is devoted to study of efforts of one of the most prominent linguistics and founders of (the verse) theory the landmarks of which were completed by Abdulqaher Algurgani (471H.) in his book (Evidences of the Wondrous Nature), It is (Alhasan Ben Abdullah Ben Sahl Al askari) surnamed (Abu Hilal) who died at the end of the fourth century Higree. His efforts were included in his two books: (Differences in Linguistics), and (the Book of the two Trades: Writing and Poetry.)

One of the most important motives of the research into his linguistic efforts specified in (verse) theory):-

1-To eliminate the illusion that he gave preference to pronunciation rather than to meaning in the literary text.

To highlight his superiority to (Abdulqaher) and the linguistics by having been ahead of them in giving utmost attention to the two structures (superficial and deep).

3-He was ahead of them in understanding the effect of the elements of the right (grammatical) structure and placing it in proper positions in the sentence. Each element is as clear in its meaning as its neighbour and subsequently clarifies its meaning and subsequently gives the literary text glamour and beauty.

ISSN : 2410-1818

مدخل:

لا تكاد نظرية النظم تتبادر إلى ذهن الباحث، في التراث اللغوي، حتى تمثل أمامه نظرية عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، الذي كانت لجهوده اللغوية النيرة أثر بارز، في ازدهار التراث اللغوي الإنساني، ومازالت تسهم في تشييد صروح الدراسات الألسنية الحديثة.

غير أنَّ هذا الاهتمام المتزايد، والانبهار بهذه الشخصية اللامعة ربَّما أسهم، بصورة ما، في إخفات الأضواء لجهود شخصيات لغوية أخرى، والغض من شأنها، على الرغم من أنها حازت على قصب السبق، في بناء صرح هذه النظرية، وترسيخ أركانها.

فالدارس في التراث اللغوي، عند العرب، لوأعاد تقليب صفحاته، ولا سيما التراث السالف لعصر (عبد القاهر)، وأنعم النظر فيه فإنه، لا محالة، واجد شخصيات أخرى، كانت جديرة بأن تحظى باهتمام لا يقل عنه، وربما فاقه نوعاً ما، وخاصة في السبق لإبراز هذه النظرية، والإشارة إلى جُل ملامحها، التي أبرزها (عبد القاهر)، في كتابه الشهير (دلائل الإعجاز)؛ وأخص بالذكر (الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري) [1] المُكنَّى (أبا هلال)، المتوفَّى في أواخر القرن الرابع الهجري.

وسأحاول في هذا البحث دراسة أبرز الجوانب، التي عرضها هذا اللغوي، فيما يخص نظرية النظم، في الدرس اللغوي.

[1] يفرق الناس بينه، وبين أستاذه (الذي يوافق اسمه، واسم أبيه، واسم جده) بالأديب، أما أستاذه، وخاله (الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري)، فيَسِمُونه باللغوي، ويُكنَّى (أبوأحمد)، ولم تُعرَف سنة ولادة (إبي هلال)، أما مسقط رأسه فهو بلدة (عسكر مُكرَم) في منطقة الأهواز، في بلاد فارس، شرق العراق. اشتغل ببيع البَز احترازاً من الطمع والمهانة، أما سنة وفاته فقيل: إنَّه توفِّي في (٣٩٥هـ) لأنه ذكر في آخر مؤلَّف له، وسمه بـ(الأوائل) أنه فرغ من تأليفه يوم الأربعاء، لعشر خلت من شعبان، سنة خمس وتسعين وثلاثمئة. أبرز مؤلفاته: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، والفروق اللغوية، والتلخيص في معرفة الأشياء، وديوان المعاني، وجمهرة الأمثال، وغيرها. (ينظر ترجمته في: معجم الأدباء:٢٥٨/٨-٢٦٠، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: ١١٦-١١٧، و: بغية الوعاة: ٥٠٦/١-٥٠٧، و: الأعلام: ١٩٦/٢، و: معجم المؤلفين: ٥٦٠/١).

ISSN : 2410-1818

أبوهلال ونظرية النظم في كتب الدارسين المحدثين :

من خلال استعراض مؤلفات عدد من الدارسين المُحدَثين، الذين انبروا لدراسة نظرية النظم (أو التعليق)[٢] وأثرها في السياق التركيبي، تبين أنهم على ثلاثة أصناف.

١) الصنف الأول أغفل تماماً ذكر أي فضل يُنسَب إلى (أبي هلال)، فيما يخص هذه النظرية، ومن أبرز هؤلاء الباحثين: أحمد مطلوب[٣]، وسامي عوض، وحسن شحوذ[٤]، ومحمد سعد شحاته.[٥]

٢) الصنف الثاني لم يغضَّ من شأن إسهامات الرجل، في هذه النظرية، بيد أنه أظهرها بصورة باهتة، لا تكاد تثير فضول الباحث، لسبر أغوار تلك الجهود. ومن أبرز هؤلاء الدارسين: درويش الجندي[١]، وحاتم صالح الضامن.[٢]

٣) الصنف الثالث أدرجه في طبقات الأدباء والشعراء؛ اغتراراً منهم بتصنيف عدد من المترجمين: القدامى، والمحدَثين، أبا هلال فيمن غلبت عليه صنعة الأدب، ومنهم: شوقي ضيف[٣]، وعمر فرُّوخ.[٤]

أما أرباب الصنف الأول، فربما صرفهم عناء البحث في شخصية أبي هلال اللغوية، الاتكال على ما أورده (أحمد مطلوب)، في معجمه (معجم المصطلحات البلاغية وتطورها)؛ حينما قصر إيراد أبرز صانعي هذه النظرية في: ابن المقفع (ت ١٤٢هـ)، والجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، وأبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ)، والباقلاني (ت٤٠٦ هـ)، والقاضي عبد الجبار (ت ٤١٥هـ)، وآخرهم عبد القاهر الجرجاني. وأغفل ذكر أبي هلال في قائمته.[٥]

---

[٢] يفرق تمام حسان بين مصطحي: (النظم)، و(التعليق)؛ فيرى أن الأول يتعلق بالمعاني، ويقصد به تصور العلاقات النحوية بين الأبواب، كعلاقة الإسناد، بين المسند إليه، والمسند، وعلاقة التعدية، بين الفعل، والمفعول به... أما الثاني فيرى أنه يدل على إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية، بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية، والمعنوية، والحالية. (ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٨٦-١٨٨).

[٣] ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٣٣١/٣.

[٤] ينظر: النظم من سيبويه إلى الجرجاني، بحث منشور في مجلة جامعة (تشرين) للدراسات والبحوث العلمية/سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، م(٢٤)، ع(١٧)-٢٠٠٢م.

[٥] ينظر: النظم والتأويل في الفكر البلاغي العربي: ٤٤-٤٧.

[١] ينظر: نظرية عبد القاهر في النظم: ٢٩-٣٠.

[٢] ينظر: نظرية النظم تاريخ وتطور: ١٩.

[٣] ينظر: البلاغة تطور وتاريخ: ١٤٠.

[٤] ينظر: تاريخ الأدب العربي: ٥٨٩/٢.

[٥] ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٣٣١/٣-٣٣٤.

وأما أرباب الصنف الثاني، فلم يوردوا شخصيته إلا في صورة المقلِّد المحض، لآراء سبقوه، ولا سيما أبو عثمان الجاحظ؛ وذلك حينما اصطادوا له عبارة تأثر بفحواها من الجاحظ، فيما يخص تغليب الاهتمام باللفظ على حساب المعنى، وهو قوله: "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي، والعربي، والبدوي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخيُّر اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع، وجودة السَبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النَسج، وجنس من التصوير"[٦]، ثم متابعة أبي هلال له في رأيه؛ حينما قال: "ليس الشأن في إيراد المعاني؛ لأنَّ المعاني يعرفها العربي، والعجمي، والقروي والبدوي، وإنما هو في جودة اللفظ وصفائه، وحسنه وبهائه، ونزاهته ونقائه، وكثرة طلاوته، ومائه، مع صحة السَبك، والتركيب، والخلو من أود* النظم، والتأليف"[٧]. وليت من ألصق به هذه التهمة تنبَّه إلى لفظة (النظم)، ومقصده منها، التي أوردها في آخر كلامه.

وكأن هؤلاء النقاد بنوا آرائه كلها، فيما يخص اللفظ والمعنى، على هذه العبارة اليتيمة، على الرغم من أن الرجل، في أماكن متعددة من (كتاب الصناعتين)، أورد عبارات كثيرة تفخِّم من أمر المعاني، حتى جعلها "تحلُّ من الكلام محل الأبدان، والألفاظ تجري فيها مجرى الكسوة".[٨]

وعلى الرغم من أن (حاتم الضامن) أورد فقرة واحدة فقط لأبي هلال، في سياق حديثه عمن أسهم في إنشاء وتصميم نظرية النظم، وفيها من وضوح الإشارة إليها ما يغريه لتفصيل رأيه فيها، نجده قد ترك العبارة عائمة، بين نصوص الأعلام الآخرين[٩]، الذين عُنِي بتوضيح آراء عدد منهم، والإشادة ببعضها، كما فعل مع أبي سعيد السيرافي[١]، والقاضي عبد الجبار.[٢]

[٦] الحيوان: ٣/١٣١-١٣٢.
* أَوِد الشيءُ، وتأَوَّدَ، وفيه أَوَدٌ: أي عِوَج. (أساس البلاغة، مادة: أود).
[٧] كتاب الصناعتين: ٤٢.
[٨] السابق: ٥١.
[٩] ينظر: نظرية النظم تاريخ وتطور: ١٩.
[١] ينظر: نظرية النظم تاريخ وتطور: ١٧.
[٢] ينظر: السابق: ٢٠-٢٤.

ISSN : 2410-1818

وإذا انتقلنا إلى الصنف الثالث، نجدهم يقصرون جهود أبي هلال في مجالي النقد، والأدب. ولعلهم انطلقوا، في مفهومهم هذا، من ثمرة دراسة الأدب، وهو إجادة فني الشعر، والنثر: علماً، وممارسة، ولم يفطنوا إلى المعنى الذي كان راسخاً، عند قدامى اللغويين، والأدباء العرب؛ يقول (بدوي طبانة)، في مفهوم (الأدب)، إبّان عصر أبي هلال العسكري: "هي علوم كان المقصود منها هذه القواعد والمعارف التي تعين الطالب على فهم الأدب وتذوقه، والقدرة على إنشائه. وقد بلغ بها الإحصاء عند بعضهم اثني عشر علماً، هي: الصرف، والنحو، والعروض، والقوافي، والشعر، واللغة، والإنشاء، والخط، والبيان، والمعاني، والمحاضرة، والاشتقاق".[٣] وبقليل تفكر فيما عرضه (بدوي) نجد أن عدة العلوم التي يمكن أن تُدرَج في علوم اللسان، تبلغ غالب ما ذكرها، وهي الموضوع تحتها خط.

ومن أبرز علماء اللغة، والأدب، الذين أشاروا إلى المفهوم العام لصنعة الأدب ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، الذي اشترط في من يروم إجادة هذا الفن عدداً من الشروط، أوردها في قوله: "هذا العلم لا موضوع له، ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها، وإنما المقصود منه عند أهل اللسان: ثمرته، وهي الإجادة في فني المنظوم، والمنثور، على أساليب العرب، ومناحيهم، فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الملكة من شعر عالي الطبقة، وسجع متساو في الإجادة، ومسائل في اللغة، والنحو، مبثوثة أثناء ذلك، متفرقة، يستقرئ منها الناظر، في الغالب معظم قوانين العربية، مع ذكر بعض أيام العرب، يفهم به ما يقع في أشعارهم منها، وكذلك ذكر المهم من الأنساب الشهيرة، والأخبار العامة.... ثم إنهم إذا أرادوا حد هذا الفن قالوا: الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف، يريد من علوم اللسان، أو العلوم الشرعية".[٤]

أي إن الخوض في صنعة الأدب، وامتلاك أدواته شيء، والوصول إلى ثمرة هذا الفن شيء آخر. ومن أهم أدواته الأخذ بطرف وافر من اللغة.

[٣] أبوهلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية: ٢٩.
[٤] مقدمة ابن خلدون: ٣١٧.

مفهوم (النظم) عند سلف أبي هلال:

يرى كثير من الدارسين أن أول ذكر ورد لكلمة (النظم)، بمفهومها الاصطلاحي، كان عند ابن المقفع؛ وذلك في سياق حديثه عن أن المنطق الكلامي لا يتأتَّى إلاَّ بالتعلُّم، عن إمام سابق، من كلام، أومن كتاب؛ إذ يقول: "فليعلم الواصفون المُخبِرون أنَّ أحدهم –وإن أحسن وأبلغ - ليس زائداً على أن يكون كصاحب فصوص، وجد ياقوتاً، وزبر جداً، ومرجاناً، فنظمه قلائد وسموطاً وأكاليل، ووضع كل فص موضعه، وجمع إلى كل لون شبهه، وما يزيده بذلك حسناً".[1]

ويظهر من خلال النص السابق أن ابن المقفع لم يزد شيئاً على معنى كلمة (النظم) فوق ما أورده المعجميون الأوائل، كالخليل، وابن فارس، والجوهري*، وغيرهم من المعجميين القدامى. وإنما كل ما فعله أنه استعمل هذا اللفظ، مشبهاً به منطق من يريد أن ينشئ كلاماً، متسقاً في مبناه، وحسن في معناه؛ أي إنَّه تعامل مع معنى الكلمة كما تعامل بها أبناء عصره، إبّان القرن الثاني الهجري، وربما امتد هذا التعامل بهذا المعنى حتى القرن الثالث الهجري.

أما الذي يمكن أن يقال فيه أنه أضفى على معنى (النظم) معنى مجازياً، لم تعهده العرب، في عصره، فلعله أبو عمرو الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، الذي وسم أحد مؤلفاته بـ(نظم القرآن)، وذهب إلى أنَّ كتاب اللّه مُعجِز بـ"نظمه البديع، الذي لا يقدر على مثله العباد، مع ما سوى ذلك من الدلائل، التي جاء بها مَن جاء".[2]

فمن خلال ما ذكره الجاحظ نلحظ أنه ألصق معنى (النظم) بالقرآن الكريم، بعد ما كان أكثر لصوقاً بالشعر العربي، وكأنَّه أراد بهذا أن يلفت انتباه مَن أبهرهم نظم الشعر، بما فيه من حُسن السَبك، وبراعة التصوير، أنَّ ثمَّة نظماً آخر، لا يدانيه شيء من أساليب النظم عند العرب، ألا هوكلام اللّه تعالى، المُنزَّل في القرآن الكريم، (بِلسانٍ عربيٍّ مُبِين)[3]، (قرآناً عربياً غيرَ ذِي عِوَجٍ لعلهُم يتَّقُون).[4]

---

[1] الأدب الصغير: ٧.
* تفصيل أقوالهم سترد في الصفحات الآتية.
[2] الحيوان: ٤/٩٠.
[3] الشعراء: ١٩٥.
[4] الزمر: ٢٨.

ISSN : 2410-1818

غير أنَّ الجاحظ لم يحفَل بهذا المصطلح كثيراً في مؤلفاته، وإنما كان يروقه استعمال ألفاظ أخرى، تؤدِّي معناه، كلفظي (السَبك)، و(النَسج)، ويظهر هذا في قوله: "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي، والعربي والبدوي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخيُّر اللفظ، وسهولة المخرَج، وكثرة الماء، وفي صحة الطَبع، وجَودة السَبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النَسج، وجنس من التصوير".[٥]

ومن أبرز علماء الكلام، الذين نوه بآرائه، في (النظم)، جُلُّ الدارسين المحدثين، القاضي عبد الجبّار؛ إذ يرون أن آرائه كانت "أكثر وضوحاً؛ حينما رأى أنَّ الفصاحة والبلاغة تقومان على ضَم الكلمات وتقاربها"[٦]، وهوما عدَّه هؤلاء الدارسون مصدر إلهام، في بناء عبد القاهر نظريته في النظم.[٧]

وحتى هذا الرأي، مع مافيه من وضوح نسبي لمفهوم (النظم) الاصطلاحي، يمكن عدُّه رأياً يفتقر إلى كثير من التفصيلات، التي كان ينبغي على عبد الجبار أن يفصح عن كنهها، لكي يرقى كلامه إلى مستوى النظرية. ولهذا بقي رأيه فيه نسبة كبيرة من الغموض.[١]

وفي خضم هذا التنظير المحموم، لمفهوم النظم، وتشكيل ضوابطه، وتصييره نظرية مكتملة الأركان، عند طائفة النقاد والبلاغيين، ثمَّة طائفة أخرى، عملت موازية للطائفة الأولى، في ترسيخ دعائم هذه النظرية أيضاً، غير أنها خالفتها في اختيار مصطلح النظم، واتخذت لإيضاح مقاصد هذه النظرية مصطلح آخر، كمصطلح (الاستقامة)، في تركيب عناصر الجملة، الذي سبق إلى استعماله (سيبويه)، في الباب الذي خصصه في كتابه لـ(الاستقامة من الكلام، والإحالة)؛ والذي يقول فيه: "فمنه مستقيم حسَن، ومُحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو مُحال كذب. فأما المستقيم الحسَن فقولك: أتيتُكَ أمسِ وسآتيكَ غداً.

---

[٥] الحيوان: ١٣١/٣-١٣٢.

[٦] معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٣٣٢/٣، نقلاً عن (المغني في أبواب التوحيد والعدل: ١٩٩/١٦- للقاضي عبد الجبار أسد آبادي، تح: أمين الخولي، القاهرة: ١٣٨٠هـ=١٩٦٠م)، والجدير ذكره أنني لم أعثر عليه.

[٧] ينظر: نظرية النظم تاريخ وتطور: ٢١، و: النظم والتأويل في الفكر البلاغي العربي: ٥١، و: النظم من سيبويه إلى الجرجاني: ٥، مجلة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، م(٢٤)، ع(١٧)، ٢٠٠٢م.

[١] ينظر: النظم والتأويل في الفكر البلاغي العربي: ٥١.

ISSN : 2410-1818

وأما المُحال فأنْ تنقُضَ أوَّل كلامِك بآخره، فتقول: أتيتُكَ غداً، وسآتيكَ أمسِ. وأمّا المستقيم الكذب فقولك: حملتُ الجبلَ، وشربتُ ماءَ البحرِ، ونحوه.

وأمّا المستقيم القبيح فأنْ تضعَ اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيداً رأيتُ، وكي زيداً يأتيكَ، وأشباه هذا.

وأمّا المُحال الكذب فأنْ تقول: سوف أشربُ ماءَ البحرِ أمسِ".[٢]

يتَّضح من خلال عبارة (سيبويه) السابقة أنه قصد بـ(الاستقامة) في الكلام: ما كان قويماً في بناءه: لفظاً، ومعنى، وليس معوَجّاً في أحدهما، أوفي كليهما. بل إنَّ (أبا هلال) زاد، تأكيداً على ما ذُكِر، أن سيبويه قصد بالكلام المستقيم، الكلام المنظوم؛ ويفصح عن هذا بقوله: "المعاني بعد ذلك على وجوه: منها ما هو مستقيم حسَن، نحو قولك: قدْ رأيتُ زيداً، ومنها ما هو مستقيم قبيح، نحو قولك: قدْ زيداً رأيتُ، وإنما قبيح لأنَّك أفسدت النظام؛ بالتقديم، والتأخير، ومنها ما هو مستقيم النَظم، وهو كذب، مثل قولك: حملتُ الجبلَ، وشربتُ ماءَ البحرِ...".[٣]

من خلال عبارة أبي هلال الأخيرة نجده يستعمل عبارة سيبويه نفسها، تقريباً، مع شيء من التصرف فيها؛ بإدخال كلمتي (النظام)، و(النظم) في ثناياها؛ للتأكيد على الترادف المعنوي بينهما.

وثمَّة نحوي متقدِّم آخر، أسهم إسهاماً بارزاً في إضفاء مفهوم جديد لكلمة (النظم)، يقترب من المفهوم الذي أصله عبد القاهر، لهذه الكلمة، هو(أبوسعيد السيرافي)، الذي عُرِف في زمانه باتساعه في علوم عصره، وتشرُّبه من علوم الفلسفة، والجدل، وتمكنُّه في امتلاك الحجج الناصعة، في إفحام خصومه. ولعل هذا أكسبه وعياً جديداً، في التعامل مع أصول النحو خصوصاً، واللغة عموماً، حتى أوصله إلى أن يُبرِز مفهومه الخاص بـ(النظم)؛ في مناظرته الشهيرة مع (متَّى بن يونُس) الفيلسوف (ت ٣٢٨هـ)، التي صرَّح فيها بأنَّ "صحيح الكلام من سقيمه يُعرَف بالنظم المألوف،

[٢] كتاب سيبويه: ١/٢٥-٢٦.
[٣] كتاب الصناعتين: ٥١.

ISSN : 2410-1818

والإعراب المعروف، إذا كنا نتكلم بالعربية، وفاسد المعنى من صالحه يُعرَف بالعقل، إذا كنا نبحث بالعقل".[1]

وبإنعام النظر في هذه العبارة، ولا سيما قوله: صحيح الكلام من سقيمه، يُعرَف بالنظم المألوف - تبدو أنها لا تُسعِف الباحث المعاصر، في تكوين صورة مكتملة، عن دلالة (النظم) بوصفه نظرية؛ لأنَّ (النظم المألوف)، عند (السيرافي) ليس مألوفاً عند غيره؛ أي إنَّه مفهوم خاص، مركوز في ذهنه، لم يُفصِح عنه، بذكر مفصَّل، كما فعل عبد القاهر، بعده.

ومما يجدر الإشارة إليه أن عبارة (السيرافي) السابقة، التي نقلها أبوحيان التوحيدي (ت ٤٠٣هـ)، في مؤلفه (الإمتاع والمؤانسة)، اختلفت عن العبارة التي نقلها في مؤلفه الآخر (المقابسات)؛ في أن كلمة (النظم) لم ترد فيه؛ إذ يقول: "صحيح الكلام من سقيمه يُعرَف بالعقل، إن كنا نبحث بالعقل".[2] أي إنَّه استبدل بكلمة (النظم) كلمة (العقل)، وشَتّان دلالة كل منهما.

ومن الإنصاف القول إنَّه وإن لم توصله ملكاته الذهنية، إلى تأصيل مصطلح (النظم)، كما أوصلت عبد القاهر، فإنه، على الأقل، وصل إلى شيء منها؛ ويظهر هذا في قوله لمتَّى: "تعلُّم لغة من اللغات لا تطابق لغة أخرى، من جميع جهاتها، بحدود صفاتها، في أسمائها، وأفعالها، وحروفها، وتأليفها، وتقديمها، وتأخيرها، واستعارتها، وتحقيقها، وتشديدها، وتخفيفها، وسعتها، وضيقها، ونظمها، ونثرها".[3] ويبدو لي أنَّ كلمتي (التأليف)، و(النظم) استعملهما السيرافي بمعنى واحد.

مفهوم (النظم) عند أبي هلال :

ربما يظن كثير من دارسي آراء أبي هلال اللغوية -ولا سيما رأيه في النظم - أن مظانَّها مبثوثة في مصنفه (كتاب الصناعتين)، وحسب، وهوظن في غير محله؛ وذلك لأنَّ آراءه اللغوية، من وجهة نظري، ينبغي أن تُستقَى من كتابين مهمين، يُبرِزان رأيه في هذه النظرية، هما: الفروق اللغوية، وكتاب الصناعتين: الكتابة، والشعر.

---

[1] الإمتاع والمؤانسة: ١٠٩.
[2] المقابسات: ٧٥.
[3] السابق: ٧٥.

ISSN : 2410-1818

فالأول: يفصح عن مفهومه في معنى (النظم)، وما يشابهه من معان أخرى، والثاني: يفصح عن الشروط التي ينبغي أن يراعيها الكاتب، في نظم التركيب اللغوي، سواء شعراً كان أم نثراً.

وإذا نظرنا إلى تمييز أبي هلال مصطلح (النظم)، أو (التنظيم) من غيره، من المصطلحات المشابهة له، نجده ينقد تلك المصطلحات نقد بصير بمعاني اللغة، كحذّاق أهلها من مصنفي المعجمات اللغوية؛ فهو يقول، مفرقاً بين معاني (التأليف)، و(الترتيب)، و(التنظيم): "الفرق بين التأليف، والترتيب، والتنظيم: أن التأليف يُستعمَل فيما يُؤلَّف على استقامة، أو على اعوجاج، والتنظيم والترتيب لا يستعملان إلاَّ فيما يُؤلَّف على استقامة، ومع ذلك فإنَّ بين الترتيب، والتنظيم فرقاً، وهو أنَّ الترتيب: هو وضع الشيء مع شكله، والتنظيم: هو وضعه مع ما يظهر به؛ ولهذا استُعمِل النظم في العقود، والقلائد؛ لأن خرزها ألوان يُوضَع كل شيء منها مع ما يظهر به لونه".[1]

وعلى الرغم من تفريقه بين معنى النظم، والتأليف، وهو أن التأليف يُستعمَل فيما يُؤلَّف على استقامة أو على اعوجاج، والنظم لا يُؤلَّف إلاَّ على استقامة، نجده قبل بضع صفحات من كتابه (الفروق اللغوية)، يوضح معنى (التأليف) بدقة، ويرى "أنَّ التأليف، والألفة، في العربية تفيد الموافقة"[2]، وهذا المعنى يقترب كثيراً من معنى النظم، أي: وضع الشيء مع شَكله، أي: مع إلفه، من عناصر الجملة العربية.

ومما تجدر الإشارة إليه أن أبا هلال كان يكثر أيضاً، في كتابه (كتاب الصناعتين)، من استعمال مصطلح (الرَصف) مشابهاً معنى النظم، والتأليف، ومن أمثلة ذلك قوله: "حُسن التأليف يزيد المعنى وضوحاً وشرحاً، ومع سوء التأليف ورداءة الرصف والتركيب شعبة من التعمية. فإذا كان المعنى سبيّاً، ورصف الكلام رديّاً، لم يُوجَد له قبول، ولم تظهر عليه طلاوة، فإذا كان المعنى وسطاً، ورصف الكلام جيداً كان أحسنَ موقعاً، وأطيب مسمعاً".[3]

---

[1] الفروق اللغوية: ١٤٨-١٤٩.
[2] السابق: ١٤٥.
[3] كتاب الصناعتين: ١٢٠، و: نظرية النظم تاريخ وتطور: ١٩.

ISSN : 2410-1818

ويبدو لي أن تفريقه بين معاني هذه الألفاظ، بهذا التأصيل المنهجي الدقيق، يضعه في مصاف علماء اللغة، الذين أصلوا لفكرة المعجمات العربية، كالخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، وإسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، وأحمد بن فارس (ت ٣٩٥)، وغيرهم، ممن عاصره، أو سبق عصره.

فالخليل يكتفي، في معجمه (العين)، بتأصيل معنى (النظم)؛ بإيراده معناه اللغوي؛ فيقول: "النَظْم نظمُك خَرزاً، بعضَه إلى بعض، في نظام واحد، وهو في كل شيء، حتى قيل: ليس لأمرِه نظام، أي لا تستقيم طريقته.

والنظام كل خيط يُنظَم به لؤلؤاً، أو غيره فهو نظام، والجميع نُظُم، وفِعلُك النَظْم، والتنظيم، قال: مثلُ الفريد، الذي يجري على النُظُم. والانتظام: الاتِّساق".[٤]

وأما ابن فارس فيجعل معنى النظم، والتأليف، مشتركاً؛ يقول: "(نظم) النون، والظاء، والميم: أصل، يدل على تأليف شيء، وتألُّفِه. ونظمتُ الخَرَز نظماً، ونظمتُ الشعر، وغيره".[٥]

في حين يرادف الجوهري بين معنى النظم، والجمع؛ يقول: "نظمتُ اللؤلؤ: أي جمعتُه في السِلك، والتنظيم مثله، ونظمتُ الشعرَ، ونَظَّمْتُه، والنظام الخيط، الذي يُنظَم به اللؤلؤ".[٦]

بيد أن أبا هلال يُوجِد فرقاً، بين معنى (التأليف)، و(الجمع)، ويرى أن "لفظ التأليف في العربية يدل على الإلصاق، ولفظ الجمع لا يدل على ذلك ... ولذلك لايُستعمَل التأليف إلاَّ في الأجسام، والجمع يُستعمَل في الأجسام والأعراض".[١]

وإذا تتبعنا الاستعمال الشائع لمعنى (النظم) في التراث العربي القديم، نجد العرب يلصقونه بفن الشعر، وهوما يتجلَّى في كلام ابن فارس، والجوهري، السالف ذكره. وأبو هلال نفسه يؤكد هذا المعنى، في مواضع مختلفة من مصنفه (كتاب

[٤] كتاب العين، مادة: نظم.
[٥] معجم مقاييس اللغة، مادة: نظم.
[٦] الصحاح، مادة: نظم.
[١] الفروق اللغوية: ١٤٤-١٤٥.

ISSN : 2410-1818

الصناعتين)[٢]. غير أنَّه وسَّع من دلالة هذا الاستعمال، وجعل الكلام المنظوم على ثلاثة أجناس، هي: الرسائل، والخُطَب، والشعر.[٣]

ارتباط مفهوم (النظم) بالإعجاز القرآني والمذاهب الكلامية :

مما ترسَّخ في قناعات الكثير من الدارسين المحدثين، أن نظرية النظم نشأت في أحضان المذاهب الكلامية، التي ازدهرت في العصر العباسي، والتي بلغ أوج الخلاف بينها أشده في تعيين مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم، بين مظاهر، ينزع بعضها إلى الجانب العقلي، وبعضها الآخر إلى الجانب اللغوي.[٤]

وصار هذا الرأي، مع كثرة التنظير له، أشبه بمبدأ ينبغي ترسيخه بين دارسي هذا العصر.

ولكن تلك القناعة تبدو لي أنها لم تُبْنَ على مَهل، من التأمل والنظر؛ ولعل السبب في ذلك يعود إلى اتكال عدد من الباحثين المتأخرين على كتابات من سبقهم، ممَّن تناول دراسة الشخصيات التي أشارت إلى مفهوم النظم، إما بإلماح وإما بتصريح، من غير إخضاعها للتحليل وإعادة النظر في آراء بعض الأعلام الذين أُهمِلوا من قائمة اهتماماتهم، كـ(أبي هلال)، الذي ارتبط اسمه وكتابه (الصناعتين) بنظرية النظم، في مؤلفات الدارسين أنفسهم.

غير أنهم لسبب ما، لم يطيلوا الوقوف عند السبب الرئيس، الذي دفع بأبي هلال إلى تأليفه كتابه (الصناعتين)، الذي عبر عنه بقوله: "ليس الغرض في هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين، وإنما قصدت فيه مقصد صناع الكلام، من الشعراء والكتاب".[٥]

فهو يوضح من خلال هذه العبارة أن مفهوم النظم، لديه، يختلف عن مفهوم من سبقه، من العلماء، الذين قصروه على القرآن الكريم، وحسب؛ مع أنَّه يُعَدُّ النص اللغوي المثالي، الذي يُحتَجُّ به بلا مدافَعة. بيد أنَّ الذي يمكن أن يُدافَع فيه، عند أبي

[٢] ينظر (على سبيل المثال): كتاب الصناعتين: ٤٠، ٤٣، ١٠٣، ١٠٤.
[٣] ينظر السابق: ١٢٠.
[٤] ينظر: نظرية النظم تاريخ وتطور: ٤.
[٥] كتاب الصناعتين: ٨.

ISSN : 2410-1818

هلال، هو أنَّ النظم، والإعجاز القرآني ليسا بركنين متلازمين، لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لكون النظم الجملي إنما هو ترتيب لعناصر أي جملة، على النحو الذي يجعلها تأتلف فيما بينها؛ لإيضاح مقصد ما، يرمي إليه المتكلم، بغض النظر عن مستواها الجمالي.

ولعل تصنيفه النظم على ثلاثة أجناس: الرسائل، والخُطَب، والشعر، فيه من وضوح مقصده بهذا المصطلح ما يجعله لا يخفى على القارئ، فضلاً عن الباحث؛ وهو أنه جعل النظم عام في مفهومه؛ فيشمل القرآن الكريم، وأشهر الفنون الأدبية، التي عرفها العرب قديماً.

أكان مفهوم النظم عند (أبي هلال) يرتقي إلى مستوى النظرية؟

يذكر عدد من الدارسين أنَّ هذه النظرية استمرت ردحاً من الزمن، منذ وردت أول إشارة إلى مفهومها، عند ابن المقفع - تفتقر إلى أهم حلقة مفقودة فيها، ألا هي ربط معناها بالجانب النحوي، إلى أن سخر الله لها عبد القاهر الجرجاني، الذي أقام دعائمها على هذه الأسس، وأبرز جدلية ربط المستوى التركيبي بالمستوى الدلالي[1]، والذي تمخض عنه بزوغ نواة أحد أهم علوم البلاغة، هو(علم المعاني).[2]

وأحسب أن هذه النتيجة لم تُبنَ على مقدمات علمية دقيقة؛ فالمتأمل في آراء (أبي هلال)، المبثوثة في كتابيه، المذكورين سابقاً، يمكنه أن يستشِف، من خلال الكثير من عباراته الواردة فيهما، عدداً لا يُستهَان به، من آرائه في النظم الكلام، وهي في نظري يمكن أن ترقى إلى ما يشبه قواعد أساسية، تصلح لبناء نظرية، مكتملة المعالم.

ويمكن حصر آرائه المؤسِّسَة لنظرية النظم، في الآتي:

١) رأيه في اللفظ والمعنى.

٢) رأيه في بناء الجُمَل، على أساس البنيتين: العميقة، والسطحية.

---

[1] ينظر: تطور الجهود اللغوية في علم اللغة العام: ١١١، و: النظم والتأويل في الفكر البلاغي العربي: ٥١، و:أبوهلال العسكري ومقاييسه:١٩٦

[2] ينظر: أبوهلال العسكري ومقاييسه: ١٩٦.

ISSN : 2410-1818

٣) رأيه في أن نظم الجمل لا يمكن أن يتأتَّى إلا بمراعاة الوظائف النحوية، لعناصرها، وما تؤديه من دلالات، بائتلافها.

وقبل مناقشة هذه الآراء ينبغي إزالة الوهم، الذي نسبه كثير من المترجمين القدامى، والمُحدَثين، إلى شخصية أبي هلال العلمية، وهو تصنيفهم إيّاه في طبقات الأدباء، والنقاد. وكأنه محال على أحد، أن يجمع بين فنَّين، أو أكثر! وليت الذي عَدَّه أديباً، أو شاعراً، أو ناقداً، صنع الشيء نفسه مع عبد القاهر، الذي جمع بين اللغة، والأدب، ولم يُغمِطْه أحد من المترجمين حقه، سواء أ ذُكِر في ضمن طبقات النحويين، أم في ضمن طبقات البلاغيين، ونقاد الأدب !

ولعل خير من أنصف أبي هلال من المترجمين القدامى ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، الذي وصفه بقوله: "أبوهلال اللغوي العسكري"[٣]، والفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ) الذي وصفه بقوله: "الأديب اللغوي..."[١]. وممن أنصفه من المترجمين المحدثين عمر رضا كحالة، الذي وصفه بقوله: "لغوي، أديب، شاعر، مفسر..."[٢].

ومن أبرز الدارسين المحدثين، الذي أنصف أبا هلال، وعَدَّه خبيراً بدقائق اللغة، والنحو (بدوي طبانة)، الذي وصفه بقوله: "يعرِف اللغة، ويعرِف دقائق النحو"[٣]، ووصفه، في مكان آخر، بقوله: "الحقيقة... أنَّ أبا هلال كان عالماً نحوياً، ولغوياً أيضاً.... فإن المنهج اللغوي يقوى عنده حتى يطغى على باب بأسره من أبواب كتابه، ويظل سائداً بقية فصول الكتاب".[٤]

ومن المحدثين الذي نوهوا بتمكنه في اللغة، والنحو، وانتفاعه بآراء سلفه من العلماء، (وليد مراد)، يقول: "يعتبر كتاب الصناعتين وسيلة لتبصير الدارسين بأصول الكتابة، والطرق السليمة للتعبير في اللغة؛ من ناحية معاني النحو، وسلامة البناء. وسخر أبوهلال العسكري دراسة السابقين له، وانتفع بها، اعتباراً منذ القرن الثاني

---

[٣] معجم الأدباء: ٢٥٨/٨.
[١] البلغة: ١١٦.
[٢] معجم المؤلفين: ٥٦٠/١.
[٣] أبو هلال العسكري ومقاييسه: ٣٠.
[٤] السابق: ١٠٩.

ISSN : 2410-1818

الهجري، وحتى أيام عصره، واستعان بها لتأليف كتابه"[٥]. وهوما سنحاول إثباته، من خلال مناقشة آراءه السابقة.

وحتى لولم ينصفه أحد ممن سبق، لكانت مؤلفاته في اللغة، خير مُنصِف له، بتمكُّنه فيهما، فضلاً عن تمكُّنه في صنعة الأدب! التي من أبرزها (الفروق اللغوية)، و(التلخيص في معرفة أسماء الأشياء)[٦]، يُضاف إليها، ما حواه كتابه (كتاب الصناعتين) من أبواب، وفصول، تناولت مسائل عميقة، في اللغة والنحو، وسنحاول هنا إبرازها بشيء من التفصيل.

أولاً: رأيه في اللفظ والمعنى

يشيع بين النقّاد أنَّ (أبا هلال) كان من دعاة تغليب اللفظ على المعنى، شأنه في هذا شأن سلفه الجاحظ الذي كان من أبرز الداعيين إلى هذا المذهب.[٧] أما حججهم، في هذه الدعوى، فهي عبارات، انتزعوها من بين نصوص مؤلفاتهما، ظاهرها أنهما فخَّما من شأن اللفظ، وهوَّنا من شأن المعنى. من أشهر هذه العبارات، عبارة (الجاحظ)، التي قال فيها: "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع، وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير"[٨]، ثم متابعة أبي هلال له في رأيه؛ حينما قال: "ليس الشأن في إيراد المعاني؛ لأنَّ المعاني يعرفها العربي، والعجمي، والقروي والبدوي، وإنما هو في جودة اللفظ وصفائه، وحسنه وبهائه، ونزاهته ونقائه، وكثرة طلاوته، ومائه، مع صحة السَبك، والتركيب، والخلو من أود النظم، والتأليف"[٩].

---

[٥] تطور الجهود اللغوية: ١٠٤-١٠٥.
[٦] الكتابان مطبوعان.
[٧] ينظر: نظرية عبد القاهر في النظم: ٢٩-٣٠، وينظر: عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده: ٩١-٩٢.
[٨] الحيوان: ١٣١/٣-١٣٢.
[٩] كتاب الصناعتين: ٤٢.

وكأن النقاد المتأخرين، استشفوا من خلال هاتين العبارتين، معنى سطحياً؛ وهو "أن تفضيل اللفظ عند هؤلاء النقاد تفضيل له من حيث هو لفظ منطوق، وحروف مسموعة".[١]

وليت الأمر وقف عند النقاد الأوائل؛ إذ استمر ذلك التهافت التقليدي، حتى عصرنا الراهن. ولعل أبرز من تحامل على ذينك العالمين، من غير تبصُّر (بدوي طبانة)؛ إذ يقول: "كان العسكري من مدرسة الجاحظ، التي تتشيع للصياغة، وتتعصب للفظ، وربما كان العسكري أكثر من رأينا مغالاة، في تقدير قيمة اللفظ؛ يجعله في الأثر الأدبي كل شيء، ويجحد المعنى، فلا يجعله شيئاً"[٢]!

ولم يتبين لي، لِمَ لَمْ يتأنَّ هؤلاء النقاد، قبل إطلاق هذا الحكم المجحف على الجاحظ، وأبي هلال، ويقفوا على جل عباراتهما التي تكلما عنها، في هذه المسألة؟!

فالجاحظ حينما أطلق هذه العبارة، أطلقها في سياق رده على أبي عمرو الشيباني[٣] حينما استحسن معنى بيتين من الشعر، وكَلَف بهما، وهما:[٤]

لا تَحسَبَنَّ الموتُ موتَ البلى فإنَّما الموتُ سؤالُ الرجالِ

كلاهما موتٌ ولكن ذا أفظعُ مِن ذاكَ لِذُلِّ السُؤالِ

وأراد الجاحظ أن يُعيده إلى جادة الصواب؛ بأن يُعنَى بشرف اللفظ، كعنايته بشرف المعنى، تماماً؛ أي إنه "وضع المعنى مع صياغة المعنى، موضعاً تقابلياً، ولا يعني قوله هذا بأنَّه يتعامل مع الشكل تعاملاً إيجابياً، ويسقط السلبية عن المعنى".[٥]

ثم أين النقاد من العبارات، التي مزج فيها الجاحظ، بين اهتمامه الكبير باللفظ، والمعنى، وجعل كل منهما يفتقر إلى الآخر، وشرف أحدهما، أو انحطاطة، يكون تبعاً لقرينه؟!

ومن أمثلة ذلك قوله، في مستهل كتابه (البيان والتبيين): "قال بعض جهابذة الألفاظ، ونقاد المعاني...".[٦]

---

[١] نظرية عبد القاهر في النظم: ٣٠.
[٢] أبوهلال العسكري ومقاييسه: ١٢٧.
[٣] ينظر: الحيوان: ٣/١٣١-١٣٢.
[٤] البيت لمطرف بن عبد الله (معجم شواهد العربية: ٣٤١)
[٥] مفهوم المعنى عند الجاحظ: ٢٣٠، مجلة آداب المستنصرية/العدد الخامس عشر، ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م.

ISSN : 2410-1818

وقوله: "البيان اسم جامع لكل شيء، كشف قناع المعنى، وهتك الحجاب، دون الضمير، حتى يفضي إلى حقيقته... لأنَّ مدار الأمر، والغاية التي إليها يجري القائل، والسامع، إنما هو الفهم، والإفهام؛ فبأي شيء بلغتَ الإفهام، وأوضحتَ عن المعنى، فذلك هو البيان، في ذلك الموضع".[٧]

وقوله: "من علم حق المعنى، أن يكون الاسم له لا فاضلاً، ولا مفضولاً، ولامقصراً، ولا مشتركاً، ولا مضمَّناً".[٨]

وقوله: "لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة، حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك. أسبق من معناه إلى قلبك"[١]. وغيرها كثير، يمكن التماسها، بغير عناء، من مظان كتابه هذا، ومن كتبه الأخرى.

وهكذا كان شأن (أبي هلال)، في نظرته إلى اللفظ، والمعنى؛ فهو ينظر إليهما، بوصفهما لازماً، وملزوماً، وكل منهما يتأثر، رُقيّاً، وانحطاطاً، بصاحبه. ومن أبرز عباراته، التي تفصح عن رأيه هذا، قوله: "لا خير في المعاني إذا استُكرِهَت قهراً، والألفاظ إذا اجتُرَّت قسراً، ولا خير فيما أُجيد لفظه، إذا سخُف معناه، ولا في غرابة المعنى، إلاَّ إذا شرف لفظه، مع وضوح المغزى، وظهور المقصد. وقد غلب الجهل على قوم، فصاروا يستجيدون الكلام، إذا لم يقفوا على معناه، إلاَّ بكد، ويستفصحونه إذا وجدوا ألفاظه كزَّة*، غليظة، وجاسية** غربية. ويستحقرون الكلام إذا رأوه سلساً عذباً، وسهلاً حلواً".[٢]

وهل بعد قوله: "قد غلب الجهل على قوم فصاروا يستجيدون الكلام، إذا لم يقفوا على معناه إلاَّ بكد..." دليلاً أكثر نصاعة على سقوط حجة من صنفه، في ضمن من يغلِّب اللفظ على المعنى؟!

---

[٦] البيان والتبيين: ٧٥/١.
[٧] السابق: ٧٥-٧٦.
[٨] السابق: ٩٢/١-٩٣.
[١] البيان والتبيين: ١١٥/١.
* الكَزَازَة، والكُزُوزَة: اليُبْس والانقباض، كَزَّ، فهوكَزٌّ. (القاموس، مادة: كزز).
** الجَوس: طلب الشيء؛ بالاستقصاء، والتردد خلال الدُور والبيوت، في الغارة، والطَوف فيها. (القاموس، مادة: جوس).
[٢] كتاب الصناعتين: ٤٤.

ومن عباراته الأخرى، التي أشار فيها إلى تلاحم اللفظ، والمعنى، قوله: "أجود الكلام ما يكون جزلاً سهلاً، لا ينغلق معناه، ولا يستبهم مغزاه، ولا يكون مكدوداً مستكرهاً، ومتوعراً متقعراً، ويكون بريئاً من الغثاثة، عارياً من الرثاثة. والكلام إذا كان لفظه غثاً، ومعرضه رثاً، كان مردوداً ولو احتوى على أجل معنى وأنبله، وأرفعه وأفضله".[٣]

وقوله: "إن الكلام ألفاظ، تشتمل على معان تدل عليها، ويُعبَّر عنها؛ فيحتاج صاحب البلاغة إلى إصابة المعنى كحاجته إلى تحسين اللفظ؛ لأنَّ المدار بعد على إصابة المعنى، ولأنَّ المعاني تحل من الكلام محل الأبدان، والألفاظ تجري معها مجرى الكُسوَة. ومرتبة إحداهما على الأخرى معروفة".[٤]

ويبدو جليّاً، في العبارة الأخيرة، أنه أحاط المعنى بعناية خاصة، تفوق اللفظ. ولا أدري كيف فات على النقاد التفكُّر في هذه العبارة، خصوصاً!

غير أنَّ (وليد مراد) أدرك هذه العناية الفائقة بالمعنى، وأوضح "أن العسكري قد اهتم بالمعاني، اهتماماً عظيماً، إلى أن جعلها أرواحاً، في الأجساد، وهو اهتمام متزايد، عمّا سبق، عند المفكرين السابقين، وهي لفتة قيمة، تشير إلى أن العرب، منذ ان أدركوا مكانتهم الحضارية، شعروا أن للمعاني مكانة وقيمة، في جميع مباحثهم، على اختلاف مناحيها".[٥]

أما الخصيصة التي رأى بعض الدارسين المحدَثين أن عبد القاهر أدركها، ولم يدركها سلَفه، هو أنه تجاوز مسألة الخلاف الجدلي، بين أفضلية اللفظ على المعنى، أو العكس، إلى إيلائه اهتماماً خاصاً بالصورة الدلالية، التي يحدثها تآلف الألفاظ، ومعانيها، في قالب نَظمي، يُكسِب التركيب دلالة عامة، لم يكن لهذه الدلالة أن تكتمل لو أُفرِدَت الألفاظ، ومعانيها، عن هذا النظم.

---

[٣] السابق: ٤٩.
[٤] السابق: ٥١.
[٥] تطور الجهود اللغوية: ١١٢.

ISSN : 2410-1818

ومما يجدر ذكره أن عبد القاهر لم يخفِ تأثُّره بهذا المفهوم، من سلفه، وإمامه (الجاحظ)، الذي وصف الشعر بأنه صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير.[1]

ويوضح مزية هذا التآلف بقوله: "لما جهلوا شأن الصورة وضعوا لأنفسهم أساساً، وبنوا عليه قاعدة، فقالوا: إنه ليس إلاَّ المعنى واللفظ، ولا ثالث، وإنه إذا كان كذلك وجب إذا كان لأحد الكلامين فضيلة لا تكون للآخر، ثم كان الغرض من أحدهما هو الغرض من صاحبه، أن يكون مرجع تلك الفضيلة إلى اللفظ، خاصة، وأن لا يكون لها مرجع إلى المعنى؛ من حيث أن ذلك زعم يؤدي إلى التناقض، وأن يكون معناهما متغايراً، وغير متغاير معاً، ولما أقروا هذا في نفوسهم حملوا كلام العلماء في كل ما نسبوا فيه الفضيلة إلى اللفظ على ظاهره".[2]

من خلال النص السابق يظهر أن عبد القاهر لفت انتباه النقاد إلى بعد ثالث، لم يكن في حسابهم، هو البعد الكلي للتركيب، أي القالب الذي تُسبَك فيه الألفاظ، ومعانيها، وهوما عبَّر عنه بـ(الصورة)، التي لا تحتمل في نظري سوى (المعنى التركيبي، والدلالي، للنظم).

ويوضح أستاذي (ماهر مهدي هلال) معنى (الصورة)، التي رأى أنَّ الجاحظ سبق إلى التوصل إلى مفهومها، بقوله: "انطلاقاً من هذا المفهوم فإن الجاحظ لم ينظر إلى القيمة الشعرية على أنها لفظ ومعنى، وإنما نظر إلى الصياغة، التي تصهر المعنى، فتُحدِث في اللفظ صورة تعبيرية، ترقى إلى حد الصور الجمالية، المتحققة الصناعات".[3]

والذي يبدو لي أن أبا هلال لم يكن بمنأى عن إدراكه هذا البعد، قبل عبد القاهر، بما يقارب خمس وسبعين عاماً! ويمكن التأكد من إدراكه هذا، من خلال قوله: "حسن التأليف يزيد المعنى وضوحاً، وشرحاً. ومع سوء التأليف، ورداءة الرصف، والتركيب، شُعبة من التعمِيَة. فإذا كان المعنى سَبِيّاً، ورصف الكلام رَدِيّاً لم يوجد

---

[1] ينظر: الحيوان: ٣/١٣١-١٣٢.
[2] دلائل الإعجاز: ٢٧٨.
[3] مفهوم المعنى عند الجاحظ: ٢٣٧، مجلة آداب المستنصرية، العدد الخامس عشر/١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

ISSN : 2410-1818

له قبول، ولم تظهر عليه طلاوة. وإذا كان المعنى وسطاً، ورصف الكلام جيداً، كان أحسن موقعاً، وأطيب مسمعاً؛ فهو بمنزلة العقد، إذا جعل كل خرزة منه إلى ما يليق بها، كان رايعاً، في المرأى، وإن لم يكن مرتفعاً جليلاً، وإن اختل نظمه، فضُمَّت الحبَّة منه إلى ما لا يليق بها، اقتحمته العين، وإن كان فايقاً ثميناً".[٤]

كما يمكن أيضاً تبيُّن إدراكه هذا البعد من قوله: "من تمام حُسن الرصف أن يخرج الكلام مخرجاً يكون له فيه طلاوة، وماء. وربما كان الكلام مستقيم الألفاظ، صحيح المعاني، ولا يكون له رونق، ولا رواء".[٥]

من خلال العبارتين السابقين، يحاول أبي هلال الإفصاح عن مراده، من مفهوم (الصورة)، ولكن بمصطلحين آخرين هما: (التأليف)، و(الرصف)؛ فيرى أن جمال بناء التركيب يجعل الصورة المعنوية، التي يهدف المتكلم إيصالها إلى المخاطب، تزداد حُسناً، وجلاء. ويمكن تبيُّن ذلك من قوله: " إذا كان المعنى وسطاً، ورصف الكلام جيداً، كان أحسن موقعاً، وأطيب مسمعاً"، ومن قوله: " من تمام حُسن الرصف أن يخرج الكلام مخرجاً، يكون له فيه طلاوة، وماء". والعكس يؤدي إلى عكس هذا المفهوم.

ثانياً: رأيه في بناء الجُمَل على أساس البنيتين: العميقة، والسطحية

مما ينبغي أن لا يخفى على الباحث، في الدرس الألسني الحديث، أنَّ هذا الدرس ما كان له أن يستوى على سوقه إذا لم يستعن بالتراث اللغوي، لدى العرب. فالمتأمل في المدة الزمنية التي تطور فيها الدرس اللغوي، عند العرب، وعند الغرب، يجد بوناً زمنياً واسعاً بينهما؛ فالأول استغرق ما يزيد عن أربعة عشر قرناً، في حين لم يستغرق الدرس الألسني، عند الغرب، قرنين من الزمان.

ثم أنَّ الدرس الألسني، عند الغرب، بدأ متعثِّراً؛ إذ كانت عناية لغوييهم بالبنية السطحية تفوق كثيراً البنية العميقة، التي تتشكل فيها معاني الألفاظ، كما

[٤] كتاب الصناعتين: ١٢٠.
[٥] السابق: ١٢٨.

ISSN : 2410-1818

يبدوذلك عند (دي سوسور) مؤسس المنهج الوصفي (البنيوي)[١]، ثم من تلاه من أنصار المنهج السلوكي، كـ(بلومفيلد)، و(سكينر)، الذين فاقوا سلفهم، في إهمالهم الجانب الدلالي للتركيب، وحصرهم اللغة في إنها لا تعدوأن تكون مجَّرد (مثير)، و(استجابة)[٢]، وكأن المتكلم، والمخاطب، صارا أشبه بآلة جامدة، تُلقَى عليها الأوامر، بكَبسة زِرٍّ، فتنفِّذ ما يُراد منها.

ولعل هذه الثغرة الكبيرة دفعت اللغوي الأمريكي (تشومسكي) إلى محاولة سدِّها، بوضع ثلاثة نماذج تأصيلية، أسهمت في تأسيس منهج لساني جديد، وسمه بـ(المنهج التوليدي، والتحويلي). وجعل أبرز أركانه الاعتناء بالبنية العميقة؛ بوصفها المكوِّن الدلالي، الذي تتشكل فيه معاني الألفاظ، التي يُصوَّت بها في البنية السطحية، وكذا القوانين التحويلية، المسؤولة على توسيع الجُمَل النواة، أو التغيير في رُتَب عناصرها، أو حذف بعضها، أو إحلال بعضها محل الأخرى.[٣]

أما علماء اللغة العرب فقد خالط الدرس اللغوي عندهم القرآن الكريم، وكان تفسيره لا ينفَكُّ عن دراسة معانيه اللغوية، بمجمل مستوياتها.

وقد أسهم الخلاف العقائدي، بين علماء الفرق الإسلامية، في مظاهر الإعجاز اللغوي، في القرآن الكريم، إلى تفليق عقولهم، وشَحذِها بنظرات تأمُّلية، دفعتهم بوعي، أوبغير وعي، إلى إيلاء كل عنايتهم في دراسة لغة العرب، بوصفها لغة دين، قبل أن تكون لغة دنيا.

ومن أبرز مظاهر هذا الاعتناء بخصائص هذه اللغة، اعتناؤهم بصنفين من أصناف النظم اللغوي، *أحدهما* - النظم اللفظي، لعناصر الجملة، *والآخر* - النظم المعنوي، لعناصر الجملة، الذي يتشكل في ذهن المتكلم، قبل التصويت بها.

ويرى الدارسون المُحدَثون أن الفضل الحقيقي، الذي انتفع منه اللغويون الغربيون (التوليديون والتحويليون)، في اكتشاف كُنْه البنيتين: السطحية، والعميقة، إنما يعود

---

[١] ينظر: اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج: ١٦٣-١٦٤.
[٢] ينظر السابق: ١٦٦-١٦٧، و: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية: ١٦.
[٣] ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ٨٢-٨٣، و: التركيبات الانفعالية في العربية بين القديم والحديث: ٤٣-٤٤. (أطروحة دكتوراه).

إلى (عبد القاهر الجرجاني)[1]. ويستشهدون على هذا بعدد من أقواله، ولا سيما في (دلائل الإعجاز)، كقوله: "إن النظم موجود في الألفاظ على كل حال، ولا سبيل إلى فهم ترتيب المعاني في النفس ما لم تنتظم الألفاظ، لكنَّ ذلك إنما هو باعتبار أن الألفاظ أوعية للمعاني؛ فهي لا محالة تتبع المعاني، في مواقعها، فإذا وجب لمعنى أن يكون، أولاً، في النفس وجب في اللفظ، الدال عليه أن يكون مثله، أولاً، في النطق، أما أن تكون الألفاظ هي المقصودة، قبل المعاني بالنظم والترتيب، وأما أن يستقل ترتيب الألفاظ عن المعاني، فإن ذلك باطل من الظن، ووهم يُتَخيَّل إلى من لا يوفي النظم حقه؛ إذ لا يُتَصوَّر أن تعرف للفظ موضعاً، من غير أن تعرف معناه، ولا أن تتوخى في الألفاظ، من حيث هي ألفاظ: ترتيباً، ونظماً، إنما الذي يحدث هو أنك تتوخى الترتيب، في المعاني، وتعمل الفكر هناك، فإذا تم ذلك أتبعتها الألفاظ، وقفوت بها آثارها، وأنك إذا فرغت من ترتيب المعاني، في نفسك، لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً، في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك، بحكم أنها خدم للمعاني، وتابعة لها، ولاحقة بها، والعلم بمواقع المعاني، في النفس، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها، في النطق".[2]

وكذا قوله: "جملة القول: إن نظم المعاني في النفس هو أساس نظم الألفاظ، على اللسان، وما دامت المعاني هي المستدعية للألفاظ، ونظمها على اللسان، كانت كل فضيلة في النظم أساسها نظم المعنى، أو بعبارة أدق، صورة المعنى، في النفس".[3]

وتلك العبارات البارزة في النصين السابقين تظهر مدى تفطن عبد القاهر لهاتين البنيتين، وإفصاحه عنهما بعبارات جلية، لا تترك مجالاً للشك، في أنه المصدر الملهم لأنصار المدرسة التوليدية التحويلية، في جل ما بنوه من آراء، وقواعد، تسهم في بناء أركان نظريتهم.

---

[1] تطور الجهود اللغوية: ٣١٣- ٣٢٦.
[2] دلائل الإعجاز: ٤٢-٤٤.
[3] السابق: ٨٧.

ISSN : 2410-1818

ومع أن هذه الحقيقة يقر بها الكثير من الدارسين المحدثين، يبدولي أنهم تجاوزوا من كان له فضل السبق، إلى إدراك كنه هذين المستويين، وهو(أبوهلال)؛ الذي يبرز رأيه هذا بعبارات، لا تقل بياناً، عما أوضحه خلفه عبد القاهر.

من هذه العبارات قوله، في الفصل الأول، من الباب الثالث، من كتابه (الصناعتين)، الذي عقده في الكلام عن الأمور التي ينبغي للشاعر أن يتوخاها إذا أراد نظم قصيدة: "إذا أردت أن تصنع كلاماً فاخطر معانيه ببالك، وتتوَّق له كرائم اللفظ، واجعلها على ذكر منك؛ ليقرب عليك تناولها، ولا يتعبك تطلبها".[٤]

وكذا قوله: "إذا أردت أن تعمل شعراً، فاحضر المعاني، التي تريد نظمها فكرك، وأخطرها على قلبك، واطلب لها وزناً، يتأتَّى فيه إيرادها، وقافية يحتملها".[١]

ولا أظن أن إدراك أبي هلال البنيتين: العميقة، والسطحية، يقصُر عن إدراك عبد القاهر، وإن اختلف أسلوب كليهما، في التعبير عنه.

ومما يزيد اطمئناني إلى هذا الرأي، قول (وليد مراد)، فيما يخص الأسلوب الكتابي عند (أبي هلال):"يظهر للمتفحِّص لأقوال العسكري أنَّ لمحات فكرية موفَّقة، وبصيص ضياء ثاقب، يمتد عَبر الأزمنة، ليصل إلينا، في أيامنا المعاصرة، وهو أن الجديد، في فكر العسكري ترتيب صياغة العبارة، من حيث البنية الخارجية، ترتيباً علمياً، وفقاً لمتطلبات البنية العميقة، وهوما يفعله اللغوي المعاصر، من حيث الاهتمام بالمعاني، وإنها أصل كل دراسة لغوية".[٢]

وهذا يدل على أن أبا هلال لم يكتفِ بالإشارة إلى ركني الكلام (البنية السطحية، والبنية العميقة)، وإنما حاول تطبيقها، على أسلوبه الكتابي، في مؤلفاته، وهي ميزة قلما وُجِدت عند مؤلِّف، متقدم، أو متأخر. وهو ما يثبت أنه فاق فهم الألسنيين المحدثين؛ في أنه لم يكتف بالتنظير للمنهج التوليدي، والتحويلي، وإنما اتخذه مجالاً للممارسة الكتابية!

---

[٤] كتاب الصناعتين: ١٠٠.
[١] كتاب الصناعتين: ١٠٤.
[٢] تطور الجهود اللغوية: ١١٤.

ISSN : 2410-1818

ثالثـاً: رأيـه في أن نظـم الجُمَـل لا يمكـن أن يتـأتَّى إلا بمراعـاة الوظـائف النحويـة، لعناصرها، وما تؤديه من دلالات، بائتلافها

مما تبين في الصفحات السابقة أن (أبا هلال) كان لغوياً، ونحوياً، كما كان أديباً، وشاعراً، وناقداً. وعلى هذا الأساس سنحاول هنا إبراز ملكته النحوية الخصبة، التي تحلَّى بها، والتي مكنته من إبراز مفاهيمه المتقدمة، والمميزة، في تأسيس نظرية النظم.

وقد تكون ثَمَّة خصيصة حملت الدارسين المحدثين على الانبهار بشخصية عبد القاهر، وما أنتجه من أسس لغوية، لبناء نظريته في النظم، وإغفال آراء غيره فيها، وهي أنه "جعل النحو عمدة دراسته، وما ينشأ عن وضع الكلمة وموضعها الإعرابي في التركيب، من تغير في المعنى قوة، وضعفاً، وفصلاً، ووصلاً، وإيجازاً وإطناباً، وقصراً. وهذه الدراسة النحوية يُبنَى عليها دراسة المعاني، وسُمِّيَت دراسة معاني النحو(علم المعاني) عند البلاغيين، وجُعِل علماً مستقلاً، من علوم البلاغة الثلاثة".[٣]

بيد أن ثمة سؤالين مهمين، ينبغي أن يتبادرا إلى ذهن الباحث، في هذه النظرية، هما: أكان عبد القاهر هو العالم الوحيد، الذي تفرَّد بهذه الخصيصة، أم أن هناك من شاركه فيها؟ وإذا شاركه عالم آخر فيها، أكان سابقاً عصر عبد القاهر، أم قريناً له في العصر، أم لاحقاً لعصره؟

الحقيقة التي ربما تتقاطع مع قناعات جل الدارسين، هي أن ثمة عالم آخر شارك عبد القاهر في التفطن إلى الأثر الذي تحدثه علامات الإعراب، ورُتَب عناصر التركيب، وكذا تعلق معنى كل عنصر فيه بالآخر - في استقامة النظم. وهذا العالم هو (أبوهلال العسكري).

وينبغي الإشارة (من باب الإنصاف) إلى أن عبد القاهر استطاع، ببصيرة ثاقبة، أن يهضم آراء سلفه من النحاة، واللغويين، ونقاد الأدب، ويبني نظرية نحوية، بلاغية، شاملة، تفسر العلاقات المعنوية التي تتألف بين عناصر الجمل، في العربية. ويمكن

[٣] أبوهلال العسكري ومقاييسه: ١٩٦.

ISSN : 2410-1818

ملاحظة هذا الشمول في أنه جعل النظم على درجتين أساسيتين: الأولى لا تكاد تتعدى مرحلة الصحة، والصواب، والأخرى تتعدى هذه المرحلة، إلى مناط الفضيلة والمزية.[١]

ويقصد بالدرجة الأولى (المستوى التركيبي)، في حين يقصد بالدرجة الثانية (المستوى الدلالي)، في أرقى صوره البيانية.

ويمكن ملاحظة هذا المزج الفريد، بينهما، في قوله: "الاستعارة، والكناية، والتمثيل، وسائر ضروب المجاز، من مقتضيات النظم، وعنها يحدث، وبها يكون؛ لأنه لا يُتصوَّر أن يدخل شيء منها في الكلم، وهي أفراد، ولم يُتوخَّ فيما بينها حكم من أحكام النحو؛ فلا يتصورها هنا فعل، أواسم، قد دخلته الاستعارة، من دون أن يكون قد أُلِّف مع غيره؛ أفلا ترى أنه قدر في (اشتعلَ الرأسُ شَيباً)[٢] إلاَّ أن يكون (الرأسُ) فاعلاً له، ويكون (شَيباً) منصوباً عنه على التمييز، لم يُتصوَّر أن يكون مستعاراً؟ وهكذا السبيل في نظائر الاستعارة".[٣]

وربما لم تسعف ملكة أبي هلال، الذهنية، في التوصل إلى هذه النظرة الشمولية، لمفهوم (النظم)، كخلفه عبد القاهر. إلاَّ أن الذي يحسب له هو سبقه إلى بناء أسس لغوية مهمة، أسهمت إسهاماً بارزاً، في اكتمال معالمها، على يد عبد القاهر.

فإنما فضل (أبي هلال)، على (عبد القاهر)، في هذا، كفضل أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) [٤]، ومن تلاه من النحاة، على اكتمال معالم أصول النحو العربي، وفروعه، على يد (سيبويه). ويصدق على هذا قول الشاعر:[٥]

فلَوقَبلُ مبكاها بكيتُ صبابةً ... بلَيلَى شفيتُ النفسَ قبلَ التندُّمِ
ولكنْ بكَتْ قَبلي فَهاجَ لي البُكا ... بكاها فقلتُ: الفضلُ للمُتَقدِّمِ

---

[١] ينظر: دلائل الإعجاز:٤٢٩. و: نظرية عبد القاهر في النظم: ٥٦.
[٢] سورة (طه):
[٣] دلائل الإعجاز:٣٩٣. و: نظرية عبد القاهر في النظم: ٦٠.
[٤] يرجّح (ابن النديم) أن (أبا الأسود) هوواضع علم النحو، واستدل على ذلك من رواية (محمد بن أسحق)، الذي وجد رجلاً جمَّاعة للكتب يدعى (محمد بن الحسين) "أربعة أوراق من ورق الصين، ترجمتها: هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي الأسود رحمة الله عليه بخط يحيى بن يَعمَر النحوي". (الفهرست: ٤٦)، وينظر: أثر أبي الأسود الدؤلي في النحوالعربي-نشأة ودراسة: ١٩٢، عبد العال سالم مكرم، مجلة كلية الآداب والتربية، ع(١٠)، ديسمبر-١٩٧٦م=ذوالحجة ١٣٩٦هـ
[٥] قائل البيت (تميم بن أُبَيّ بن مُقبل)، في ملحق ديوانه: ٢٧٧.

ISSN : 2410-1818

والذي ينبغي التنويه به، هو أن ملكة أبي هلال، في النحو، وأصوله، لم تكن عادية، كأي أديب، أو شاعر، يلجأ إلى الاستشهاد بمسائل النحو، فيما يقيم به صلب عمله الأدبي، وحسب. وإنما كان نَفَسه، في هذا الفن يتعدى هذا، إلى الوقوف موقف الناقد اللغوي، والنحوي، محللاً، ومفنِّداً النصوص، التي لا ترقى إلى مستوى الفصاحة، في إقامة النظم. ولعل هذا ما دفع بـ(بدوي طبانة)، إلى وصفه بأنه "يعرف اللغة، ويعرف دقائق النحو".[1]

ومن أبرز المسائل النحوية التي يمكن أن توقفنا على تمكنه في هذا الفن، وتسخيره إياه في نقد النصوص الأدبية، من حيث استقامة تراكيبها، وجمال تصاويرها:

(١) كلامه في لحن بعض المتمَدِّنين عند بعض الأعراب:

(اللحن) في الكلام: هوميله، عن الإعراب، إلى الخطأ، أوصرفه عن موضوعه إلى الإلغاز.[2]

وقد أورد أبوهلال عدداً من المواقف اللغوية التي وقعت لبعض المتمدِّنِين مع بعض الأعراب، التي لم تشُب ألسنهم العجمة، واللحن؛ ليبين أن من أولويات إنشاء الكاتب، والشاعر أي نص أدبي، أن يراعي استقامة نظاميه: النحوي، والدلالي؛ وذلك بأن يتفطن إلى صحة إعراب عناصر التركيب، وخلوها من اللبس، والتعمية.

من تلك المواقف قوله: "أراد رجل أن يسأل بعض الأعراب عن أهله، فقال: كيف أهلِك؟ بالكسر، فقال له الأعرابي: صَلَباً! إذ لم يشك أنه إنما يسأله عن السبب الذي يُهلَك به.

وقال الوليد بن عبد الملك لأعرابي، شكا إليه ختناً له: مَن ختنَك؟ (ففتح النون)، فقال: معذِّر في الحي! إذ لم يشك في أنه إنما يسأله عن خاتنه".[3]

من خلال النص السابق يمكن التوصل إلى أن أبا هلال أراد من الكتاب أن يراعوا ضبط الكلمات المكتوبة ضبطاً إعرابياً، إما برسم الحركات، وإما بالتنبيه

---

[1] أبوهلال العسكري ومقاييسه: ٣٠.
[2] أساس البلاغة، مادة: لحن.
[3] كتاب الصناعتين: ٩.

ISSN : 2410-1818

الكتابي على الحركة الصحيحة التي ينبغي وضعها في الكلمة. وهوما فعله، حينما قال: "كيف أهلِك؟ (بالكسر)"، و"من ختنَك؟ (ففتح النون)". وهذا الحرص لا يصدر إلى من نحوي، يدرك المواقع الإعرابية التي قد تحتمل اللبس.

ويعلق (بدوي طبانة) على المواقف السابقة بقوله: "هذا نقد نحوي. وهكذا نرى أن أبا هلال قد ضم إلى مذهب المتكلمين مذهب النحاة واللغويين. وتلك ثقافات عصره، اجتمعت لديه، فجاء كتابه ملتقى لها".[٤] يقصد (كتاب الصناعتين).

(٢) كلامه في التقديم التأخير والحذف في بعض عناصر التركيب، وأثرها في استقامة المعنى:

هاتان المسألتان من المسائل النحوية، القديمة، التي حظيت باهتمام خاص، لدى النحاة، ومن أبرزهم: سيبويه[١]، وابن جني[٢]. والأخير أفرد باباً خاصاً في كتابه (الخصائص)، لاستقصاء المواضع، التي يجوز فيها حذف بعض عناصر الجملة، وسمه بـ(شجاعة العربية) ![٣]

أما أبو هلال فلم يغفل عن التنبيه إلى أهمية هاتين المسألتين، لما ينبني عليهما إما استقامة نظم الكلام: لفظاً ومعنىً، وإما اعوجاجه وإبهامه، ولا سيما أن نقض المراتب، في عناصر الجُمَل، تارة يلجأ إليه المتكلم، والكاتب؛ بغرض الاهتمام بما يُقدَّم من تلك العناصر، وتارة يلجأ إليه لضرب من حصر المعنى، في العنصر المتقدم، وربما يضطر إليه الشاعر، أحياناً، لإقامة وزن الشعر، وحسب.

ومثل ذلك تنبيهه المتكلم، والكاتب، إلى عدم اللجوء إلى حذف بعض عناصر التركيب، من غير أن يتنبه إلى ما قد يؤدي ذلك الحذف إلى التباس معنى الكلام، وإبهامه على السامع، والقارئ.

وقد أورد أبوهلال عدداً من الأقوال، التي تخص هاتين المسألتين... منها قوله: "حسن الرصف أن توضع الألفاظ في مواضعها، وتُمكَّن في أماكنها، ولا يُستعمَل فيها

---

[٤] أبوهلال العسكري ومقاييسه: ١١١.
[١] ينظر: كتاب سيبويه: ١٧٦/١، ٢١٢، ١٢٢/٢.
[٢] ينظر: الخصائص: ٣٨٢/٢-٣٩٠.
[٣] ينظر السابق: ٣٦٠-٤٤١.

التقديم، والتأخير والحذف والزيادة إلاَّ حذفاً لا يفسد الكلام، ولا يُعمِي المعنى، ويضم كل لفظة منها إلى شَكلها، وتضاف إلى لَفقها، وسوء الرصف تقديم ما ينبغي تأخيره منها، وصرفها عن وجوهها، وتغيير صيغتها، ومخالفة الاستعمال في نظمها".[٤]

بيد أن أبا هلال، لم يترك عباراته هذه عامة المعنى، كغيره ممن أشار، إلماحاً، إلى مسألة ربط الجانب النحوي بالنظم، من غير تفصيل. وإنما وقف على بعض المسائل النحوية التي يمنع النحاة فيها تقديم بعض عناصر السياق على غيرها، وحللها على طريقة النحويين، تماماً، وهو مما يثبت تضلعه في هذا الفن.

ويمكن ملاحظة ذلك من خلال قوله، في مسألة منع تقديم النعت على المنعوت: "ينبغي أن ترتب الألفاظ ترتيباً صحيحاً، فتقدم منها ما يحسن التقديم، وتؤخر منها ما يحسن تأخيره، ولا تقدم منها ما يكون التأخير به أحسن، ولا تؤخر منها ما يكون التقديم به أليق. فمما أفسد ترتيب ألفاظه قول بعضهم:[٥]

يضحَكُ مِنهـا كلُّ عضـولَهـا   مِن بهجـةِ العَيشِ وحُسـنِ قَـوامِ
ترفَـلُ في الدارِ لهـا وَفـرَةٌ   كوفـرَةِ المَلـطِ الخَليـعِ الغُـلامِ

كان ينبغي أن يقول: كوفرةِ الغلامِ الملطِ الخليعِ، أو: الغلامِ الخليعِ الملطِ. فأما تقديم الصفة على الموصوف، فرديٌّ في صنعة الكلام الجيد".[١]

في هذه المسألة نجده يوافق رأي سيبويه الذي يمنع تقديم الصفة على الموصوف، إلاَّ إذا نُصِبَت على الحال؛ إذ يقول: "قولك: هذا قائماً رجلٌ، وفيها قائماً رجلٌ. لمّا لم يجُزْ أن توصَف الصفة بالاسم، وقبُح أن تقول: فيها قائمٌ، فتضع الصفة موضع الاسم".[٢]

وحتى نصب الصفة المقدمة، على الحال، يعده النحاة ضعيفاً؛ لكون صاحبه نكرة، وحقه التعريف، ولكنه أهون من جعله صفة، لكونه ممتنعاً؛ يقول (ابن يعيش)، في الحمل على أحسن القبيحين، في مثال (ما شأنُكَ وزيداً): "لزم النصب ههنا لأنه قد كان فيما يمكن فيه العطف جائزاً، نحو قولك: ما شأنُ عبدِ اللهِ وزيداً، وما

(٤) كتاب الصناعتين: ١٢٠.
(٥) لم أعثر على قائله.
(١) كتاب الصناعتين: ١١٤.
(٢) كتاب سيبويه: ١٢٢/٢، وينظر: الخصائص: ٣٩١/٢.

ISSN : 2410-1818

لزيدٌ وأخاهُ، فصار ههنا لازماً، وهومن قبيل أحسن القبيحين؛ لأن الإضمار، والحمل على المعنى فيه ضعف، مع جوازه، والعطف على المضمر المخفوض ممتنع، فصار هذا كما لو تقدمت صفة النكرة عليها، من نحو(لِمَيَّةَ مُوحِشاً طَلَلٌ)؛ لأن الحال من النكرة ضعيف، وتقديم الصفة على الموصوف ممتنع، فحُمِل على الجائز، وإن كان ضعيفاً".[٣]

ومن مسائل الحذف، المبثوثة بكثرة، في كتب النحويين، يورد أبوهلال عدداً منها في كتابه (الصناعتين)، يقول: "أما الحذف فعلى وجوه، منها أن يحذف المضاف، ويقيم المضاف إليه مقامه، ويجعل الفعل له، كقوله تعالى: (واسألِ القريةَ)[٤]، أي: أهلها، وقوله: (وأُشرِبُوا في قلوبِهمُ العِجلَ)[٥]، أي: حبه، وقوله: (الحَجُّ أشهُرٌ مَعلُوماتٌ)[٦]، أي: وقت الحج، وقوله تعالى: (بَلْ مِكْرُ اللَيلِ والنَهارِ)[٧]، أي: مكركم فيهما، وقال (المتنخِّل الهُذلي):[٨]

يُمشِّي بينَنا حانوتُ خَمرٍ من الخُرسِ الصَراصِرةِ القِطاطِ

يعني: صاحب حانوت، فأقام الحانوت مقامه، وقال الشاعر:[٩]

لهم مَجلِسٌ صَهبُ السِبالِ أذلةٌ سواسيةٌ أحرارُهَا وعبيدُها

يعني: أهل المجلس.

ومنها أن يوقع الفعل على شيئين، وهو لأحدهما، ويضمر للآخر فعله، وهو قوله تعالى: (فأجمِعُوا أمركمَ وشركاءَكم)[١٠]، معناه: وادعوا شركاءَكم، وكذلك هو في مصحف (ابن مسعود). وقال الشاعر:[١]

تراهُ كأنَّ اللّهَ يجدَعُ أنفَهُ وعَينَيهِ إنْ مولاهُ ثابَ لَهُ وَفرُ

---

[٣] شرح المفصل: ٢/٥٠.
[٤] سورة (يوسف): ٨٢.
[٥] سورة (البقرة): ٩٣.
[٦] سورة (البقرة): ١٩٧.
[٧] سورة (سبأ): ٣٣.
[٨] ديوان الهذليين: ٢/٢١. ويقصد بـ(الخرس الصراصرة): أعجمَ من نَبَط الشام، يقال لهم الصراصرة. والقطاط: الجِعاد، والواحدة قَطَط، وهوأشد الجُعُودة. (ينظر نفسه).
[٩] لم أعثر على قائله.
[١٠] سورة (يونس): ٧١.
[١] البيت للزبرقان بن بدر. (شعر الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم: ٤٠)، وشك عبد السلام هارون في نسبة البيت، بين نسبته إلى خالد بن الطَيفان، أوإلى الزبرقان بن بدر. (ينظر: معجم شواهد العربية: ١٩٠).

أي: ويفقأ عينه. وقول الآخر:[٢]

إذا ما الغانيـاتُ برَزْنَ يومـاً   وزَجَّجْـنَ الحَـواجِبَ والعُيُونـا

العيون لا تُزَجَّج، وإنما أراد: وكحَّلْنَ العيون.

ومنها أن يأتي الكلام على أن له جواباً، فيحذف الجواب اختصاراً، لعلم المخاطب، كقوله (عز وجل): (وَلَوْ أَنَّ قُرآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتى بَلْ لِلهِ الأَمْرُ جَمِيعاً)[٣]، أراد: لكان هذا القرآن، فحذف، وقوله تعالى: (وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيكُم ورَحْمَتُهُ وأَنَّ اللهَ رَؤُوفٌ رَحِيم)[٤]، أراد: لعذَّبكم".[٥]

في المسائل السابقة التي أوردها أبوهلال، تظهر شخصيته الخبيرة بآراء النحويين، فيما يخص المواضع التي يجيزوا فيها حذف بعض عناصر السياق.

ففي مسألة حذف المضاف، وإحلال المضاف إليه محله، نجده يجسد شواهد (سيبويه)، التي أوردها فيها، غير أنه أوردها في ضمن باب (استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتساعهم في الكلام، والإيجاز، والاختصار)؛ إذ يقول في بعض فقراته: "مما جاء على اتساع الكلام، والاختصار، قوله تعالى جده: (واسأَلِ القريةَ التي كُنّا فِيها والعِيرَ التي أَقبلنَ فِيها)، إنما يريد: أهل القرية، فاختصر، وعمل الفعل في (القرية)، كما كان عاملاً في (الأهل)، لوكان هاهنا.

مثله: (بل مكرُ الليلِ والنَهارِ)[٦]، وإنما المعنى: بل مكرُكُم، في الليل، والنهار. وقال عز وجل: (ولكنَّ البِرَّ مَن آمنَ باللهِ)[٧]، وإنما هو: ولكنَّ البِرَّ بِرُّ مَن آمنَ باللّهِ، واليومِ الآخِرِ".[٨]

---

[٢] البيت للراعي النميري. غير أن رواية البيت جاءت: وهِزَّةِ نِسوةٍ مِن حَيِّ صدقٍ *** يُزَجِّجْنَ الحواجِبَ والعُيُونا. (ديوان الراعي النميري: ٢٦٩، وينظر: معجم شواهد العربية: ٥٠٠).

[٣] سورة (الرعد): ٣١.

[٤] سورة (النور): ٢٠.

[٥] كتاب الصناعتين: ١٣٥-١٣٦.

[٦] سورة (سبأ):٣٣.

[٧] سورة (البقرة): ١٧٧.

[٨] كتاب سيبويه: ٢١٢/١. وينظر: ١٧٦/١.

ISSN : 2410-1818

والنحويون يصنِّفون هذا النوع، من الحذف، في ضمن الحذف القياسي، وثمَّة حذف آخر للمضاف، يُصنَّف في ضمن الحذف السماعي.[٩]

وفي مسألة إعمال الفعل في أحد المنصوبين، وحذفه من الآخر، نجده يجسِّد المسألة التي يوردها النحويون في باب (المفعول معه)، الذي يشترطون أن يتوفر فيه ثلاثة شروط، هي:[١]

١) أن يكون اسماً.

٢) أن يكون واقعاً بعد الواو، الدالة على المصاحبة.

٣) أن تكون تلك الواو مسبوقة بفعل، أو ما فيه معنى الفعل، وحروفه.

ومن ضمن الشواهد التي القرآنية التي يوردونها، في هذا الباب، قوله تعالى: (فأَجمِعُوا أمرَكُم وشركاءَكم)[٢]، "أي فأجمعوا أمركم مع شركائكم، فـ(شركاءكم)، مفعول معه، لاستيفائه الشروط الثلاثة".[٣]

غير أن أبا هلال يدخل في ضمن هذا الباب، قول الشاعر:

إذا ما الغانيـاتُ بـرزْنَ يومـاً وزَجَّجْـنَ* الحواجِـبَ والعُيُونـا

وهي ليست في ضمنه؛ لانتفاء شرط من شروطه، وهوعدم صلاح (الواو) قبل (العيون)، للمعية؛ وذلك لأن الفعل (زجَّجَ) لا يصح تسليطه على (العيون)؛ لكونها لاتُزجَّج، وإنما تُكَحَّل. أما التي تزجج فهي الحواجب.[٤]

والغريب أن أبا هلال عدَّه في هذا الباب.

أما الموضع الأخير الذي أورده في الحذف فهو حذف جواب الشرط ،اختصاراً، لعلم المخاطب. وجملة رأي النحويين في هذه المسألة أن حذف جواب الشرط، على ثلاثة أوجه:[٥]

---

[٩] ينظر: شرح التصريح على التوضيح: ٥٥/٢-٥٦. و: ظاهرة النيابة في العربية: ٣٢٨-٣٣٦.

[١] ينظر: شرح شذور الذهب: ٢٦٢-٢٦٣.

[٢] سورة (يونس): ٧١.

[٣] شرح شذور الذهب: ٢٦٣.

* زجَّج الحاجب: دقَّقه، وطوَّله. (القاموس المحيط، مادة: زجج).

[٤] ينظر: شرح شذور الذهب: ٢٦٨.

[٥] ينظر السابق: ٣٦٢.

أ- ممتنع، وهوما انتفى منه وجود دليل، ملفوظ، أو مقدر، يدل عليه، في سياق جملة الشرط.

ب- جائز، وهوما وُجدا فيه، ولم تدل عليه جملة، متقدمة الذكر: لفظاً، أو تقديراً، وإنما الذي دل عليه فعل ماضٍ حالٌّ محل فعل الشرط[٦]، كقوله تعالى: (وإنْ كانَ كَبُرَ عليكَ إعراضُهُم فإنِ استطعْتَ أنْ تبتغِي نفقاً في الأرضِ أو سُلَّماً في السماءِ فتأتيَهُم بآيةٍ).[٧]

جملة الشرط في الآية هي: (فإنِ استطعتَ...)، وحذف جوابها؛ لدلالة الكلام عليه، والتقدير: فافعل. والشرط الثاني وجوابه جواب الشرط الأول، والمعنى: إن استطعت أن تبتغي منفذاً، تحت الأرض، تنفذُ فيه، فتطلع لهم بآية، أو سُلَّماً، تصعد به إلى السماء، فتنزل منها بآية، فافعل.[٨]

ت- واجب، وهوما كان دليله الجملة المذكورة قبله، إما تصريحاً، نحو: أنتَ ظالمٌ إن فعلْتَ، وإما تلميحاً، نحو: إن قمتَ أقومُ.

٣ - كلامه في الفصل القبيح بين المتلازمات :

يورد أبو هلال مسألة يعدها النقاد من الضرائر الشعرية، التي تؤدي إلى ضعف التأليف في البيت الشعري؛ يقول فيها: "ينبغي أن تتجنب إعادة حروف الصلاة* والرباطات** في موضع واحد، إذا كتبت، مثل قول القائل: منه له عليه، أو: عليه فيه، أو: به له منه، وأخفها: له عليه، فسبيله أن تداويه حتى تزيله؛ بأن تفصل ما بين الحرفين، مثل أن تقول: أقمت به شهيداً عليه، ولا أعرف أحداً كان يتتبع العيوب فيأتيها غير مكترث إلاَّ المتنبي؛ فإنه ضمن شعره جميع عيوب الكلام ما أعدمه شيئاً منها حتى تحظى إلى هذا النوع، فقال:[١]

ويُسعِدُني في غَمْرَةٍ بعدَ غَمْرَةٍ سَبُوحٌ له منها عليها شَواهِدُ

---

[٦] ينظر: شرح التصريح على التوضيح: ٢/٢٥٢.

[٧] سورة (الأنعام): ٣٥.

[٨] ينظر: شرح التصريح على التوضيح: ٢/٢٥٢.

* "اصطلح النحاة على تسمية حروف معدودة مقرر فيما بينهم مثل: إنْ، وأنْ، والباء، في مثل (كفى بالله شهيداً)، ونظائرها، بحروف الصلة.... وتطلق أيضاً على حروف جر يتعدى بها الفعل وما أشبهه". (كشاف اصطلاحات الفنون: ٢/١٠٩٣).

** أوصل (ابن هشام) عدد الرباطات إلى عشرة، غير أنه جعل الضمير أصل لها. (ينظر: مغني اللبيب: ٥/٥٧٧-٥٨٤).

[١] العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب: ٣٢٧. غير أن البيت بدأ بالفعل (وتُسعِدُني...).

ISSN : 2410-1818

فأتى من الاستكراه بما لا يطار غرابة".[٢]

من النص السابق نجد أن أبا هلال يثير إحدى المسائل، التي يُعِدُّها النقاد من الضرورات الشعرية، التي يقبح بالشاعر اللجوء إليها.

وعلى الرغم من أن اللجوء إلى الضرورات الشعرية، هي من وسائل الشاعر، فإن النحاة أدرجوها في مؤلفاتهم؛ لكونها تتعلق بضعف التركيب، وهي صفة لا تقتصر على الشعر، وإنما تتعداه إلى النثر أيضاً.

ويبدو أن أبا هلال قصد بحروف الصلاة، والرباطات، حروف الجر، والضمائر العائدة على الأسماء المذكورة في السياق.

أما الأمثلة التي أوردها، في هذا النوع من الضرورات، فيوردها النحاة في باب (إدخال الحرف على الحرف)[٣] أو(زيادة الجار على مثله)[٤]، على جهة التأكيد، كإدخال حرف الجر (اللام)، على مثله، نحو قول بعض بني أسد:[٥]

فلا واللّهِ لا يَلفَى لِما بِي ولا لِلِما بِهِم أبداً دواءُ

ومنه زيادة حرف جر، على حرف جر يفيد التعدية، كقوله: فأصبحْنَ لا يسألْنَهُ عن بما به.[٤]

مما سبق نجد أن أبا هلال لم يكتفِ بتفنيد مواضع ضعف التأليف، في نظم الشعراء، والكتاب، وإنما بادر إلى معالجة هذا الضعف؛ بتقويمه تقويماً نحوياً، وإعادة صياغته صياغة سليمة المبنى، وواضحة المعنى.

الخاتمة :

بناء على ما سبق نخلُص إلى النتائج الآتية:

١) لم يكن أبو هلال، (ومثله سلفه الجاحظ)، من أنصار تغليب الألفاظ على المعاني، كما توهّم كثير من النقاد، وقد تبيَّن من عباراته المتفرقة في كتابه (كتاب

---

[٢] كتاب الصناعتين: ١١٩.
[٣] ينظر: ضرائر الشعر: ٥٤-٥٧.
[٤] ينظر: همع الهوامع: ١٥٨/٢.
[٥] ضرائر الشعر: ٥٤. والبيت لمسلم بن معبد الوالبي. (معجم شواهد العربية: ٢٤)
[٤] ينظر: همع الهوامع: ١٥٨/٢.

ISSN : 2410-1818

الصناعتين)، أنه كان يولي كلاً منهما اهتماماً خاصاً، بل إنه كان يميل أحياناً إلى تفخيم المعاني، حينما جعلها تحل من الكلام محل الأبدان، والألفاظ تجري معها مجرى الكسوة.

٢) لم تكن شخصيته ميّالة لصِنعة الشعر، الأدب، فقط، كما توَّهم كثير ممن ترجم لسيرته، من القدامى، والمُحدَثين. وإنما كان ممن جمع، إلى هذه الصنعة، صنعة أخرى، لا يقل كفاءة فيها عن الأولى، هي اللغة، والنحو. وهذا ما يمكن ملاحظة في البحث.

٣) استطاع أبوهلال خلق نواة حقيقية، لنظرية شاملة في النظم، مكنت من جاء بعده، ممن طرق هذا المجال، إلى إكمال ما بناه. ولم يغفل في هذه النظرية، عن إيلاء عنايته بالمستويين: التركيبي، والدلالي. خلافاً لمن ظن غير ذلك.

٤) إنَّ هذا البحث قد يكون سبّاقاً إلى الكشف عن الحلقة المفقودة، في نظرية النظم، وهي نسبة الفضل الأكبر، في وضع أسسها، إلى (أبي هلال العسكري)، وليس إلى (عبد القاهر الجرجاني)، الذي لا يُغمَط حقه الكبير، أيضاً، في إكمال معالم هذه النظرية، وخلق سُبُل واضحة، في اللغة، يهتدي على سَنَنها الدارسون المحدثون: من العرب، والغرب، على السواء.

قائمة الكتب والمجلات :

أولاً: الكتب

القرآن الكريم

١) أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية، بدوي طبانة، دار الثقافة - بيروت/لبنان، ١٤٠١هـ= ١٩٨١م.

٢) الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء، من العرب والمستعربين والمستشرقين)، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين -بيروت/لبنان، ط١٤، شباط/فبراير ١٩٩٩م.

ISSN : 2410-1818

٣) الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع: بيروت/لبنان، ط١، ١٤٠٢هـ= ١٩٨٢م.

٤) الأدب الصغير، لابن المقفع، تح: أحمد زكي باشا، جمعية العروة الوثقى الخيرية الإسلامية: الإسكندرية/مصر، ط١، ١٣٢٩هـ= ١٩١١م.

٥) أساس البلاغة، لمحمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تح: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر: بيروت/لبنان، د.ت.

٦) الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدي (ت ٤٠٣هـ)، صححه وضبطه وشرح عربيَّه: أحمد أمين، وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، د.ت.

٧) معجم الأدباء (في عشرين جزءاً)، لياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (٦٢٦هـ)، تح: أحمد فريد الرفاعي، راجعته: وزارة المعارف العمومية، دار المأمون: القاهرة/مصر، ١٣٥٥هـ= ١٩٣٦م.

٨) البُلغَة في تراجم أئمة النحو واللغة، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، تح: محمد المصري، ط١، ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م، دار سعد الدين: دمشق/سورية.

٩) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م.

١٠) البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف: القاهرة/مصر، ط٩، د.ت.

١١) البيان والتبيين، لعمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي: القاهرة/مصر، ط٧، ١٤١٨= ١٩٩٨م.

١٢) تاريخ الأدب العربي، عمر فرُّوخ، دار العلم للملايين: بيروت/لبنان، ط٤، ١٤٠١هـ= ١٩٨١م.

١٣) التركيبات الانفعالية في العربية بين القديم والحديث، محمد علوي أحمد بن يحيى، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى قسم اللغة العربية، بكلية التربية (عدن)/جامعة عدن، ١٤٣٢هـ= ٢٠١١م.

١٤) تطور الجهود اللغوية في علم اللغة العام، وليد مراد، دار الرشيد: دمشق، بيروت، ومؤسسة الإيمان: بيروت/لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م.

ISSN : 2410-1818

١٥) الحيوان لعمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة/مصر، ط٢، ١٣٨٤هـ= ١٩٦٥م.
١٦) الخصائص، عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تح: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر: بيروت/ لبنان، ط٢، د.ت.
١٧) دلائل الإعجاز، لعبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١هـ) أو(ت ٤٧٤هـ)، تعليقات: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ومطبعة المدني: القاهرة/مصر، د.ت.
١٨) ديوان ابن مقبل، تح: عزَّة حسن، دار الشرق العربي، بيروت/ لبنان، حلب/سورية، ١٤١٦هـ= ١٩٩٥م.
١٩) ديوان الراعي النميري، تح: راينهرت فايبرت، دار النشر فرانتس شتاينر بفيسبادن، بيروت/لبنان، ١٤٠١هـ= ١٩٨٠م.
٢٠) ديوان الهُذَلِيين، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة/مصر، ١٣٨٥هـ= ١٩٦٥م.
٢١) شرح التصريح على التوضيح، لخالد بن عبد الله الأزهري (ت ٩٠٥هـ)، وبهامشه (حاشية يس) على الشرح المذكور، يس بن زين الدين العليمي الحمصي (ت ١٠٦١هـ)، دار الفكر: بيروت/لبنان، د.ت.
٢٢) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لعبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع: القاهرة/مصر، ٢٠٠٤م.
٢٣) شرح المفصَّل، ليعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، عالم الكتب: بيروت/لبنان، د.ت.
٢٤) شعر الزبرقان بن بدر وعمروبن الأهتم، تح: سعود محمود عبد الجابر، مؤسسة الرسالة: بيروت/لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م.
٢٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين: بيروت/لبنان، ط٤، ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م.

ISSN : 2410-1818

٢٦) ضرائر الشعر، لعلي بن مؤمن بن محمد الحضرمي، الأشبيلي، المعروف بابن عصفور (ت ٦٦٣هـ)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية: بيروت/لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م.

٢٧) ظاهرة النيابة في العربية، عبد الله صالح با بعير، دار حضرموت للدراسات والنشر: المكلا/اليمن، ط١، ٢٠١٠م.

٢٨) العَرف الطيِّب في شرح ديوان أبي الطيِّب، ناصيف اليازجي، المطبعة الأدبية: بيروت/ لبنان، ١٣٠٥هـ.

٢٩) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع: القاهرة/مصر، ٢٠٠٤م.

٣٠) الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري (أحد أعلام القرن الرابع الهجري)، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة: القاهرة/مصر، د.ت.

٣١) الفهرست للنديم، لمحمد بن أبي يعقوب أسحق المعروف بالوراق، تح: رضا - تجدد، بدون دار نشر، طهران، ١٣٩١هـ= ١٩٧١م.

٣٢) القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة: بيروت/لبنان، ط٣، ١٤١٣هـ= ١٩٩٣م.

٣٣) كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تح: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، ط٣، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.

٣٤) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ)، صححه وفسر غريب ألفاظه: محمد أمين الخانجي، مطبعة محمود بك: الأستانة العلية، ط١، ١٣٢٠هـ.

٣٥) كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، بدون دار نشر، د.ت.

٣٦) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون: بيروت/لبنان، ط١، ١٩٩٦م.

ISSN : 2410-1818

٣٧) اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، سمير شريف ستيتية، عالم الكتب الحديث، ط١، ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٥م.
٣٨) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة: الدار البيضاء/المغرب، ١٩٩٤م.
٣٩) معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة: بيروت/لبنان، ط١، ١٤١٤هـ= ١٩٩٣م.
٤٠) معجم شواهد العربية، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي: القاهرة/مصر، ط٣، ٢٠٠٢م.
٤١) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي: بغداد/العراق، ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م.
٤٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر: بيروت/لبنان، ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م
٤٣) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تح: عبد اللطيف محمد الخطيب، دار التراث العربي: الكويت، ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م.